يوسف ، مُسْتَبْقي الحياة

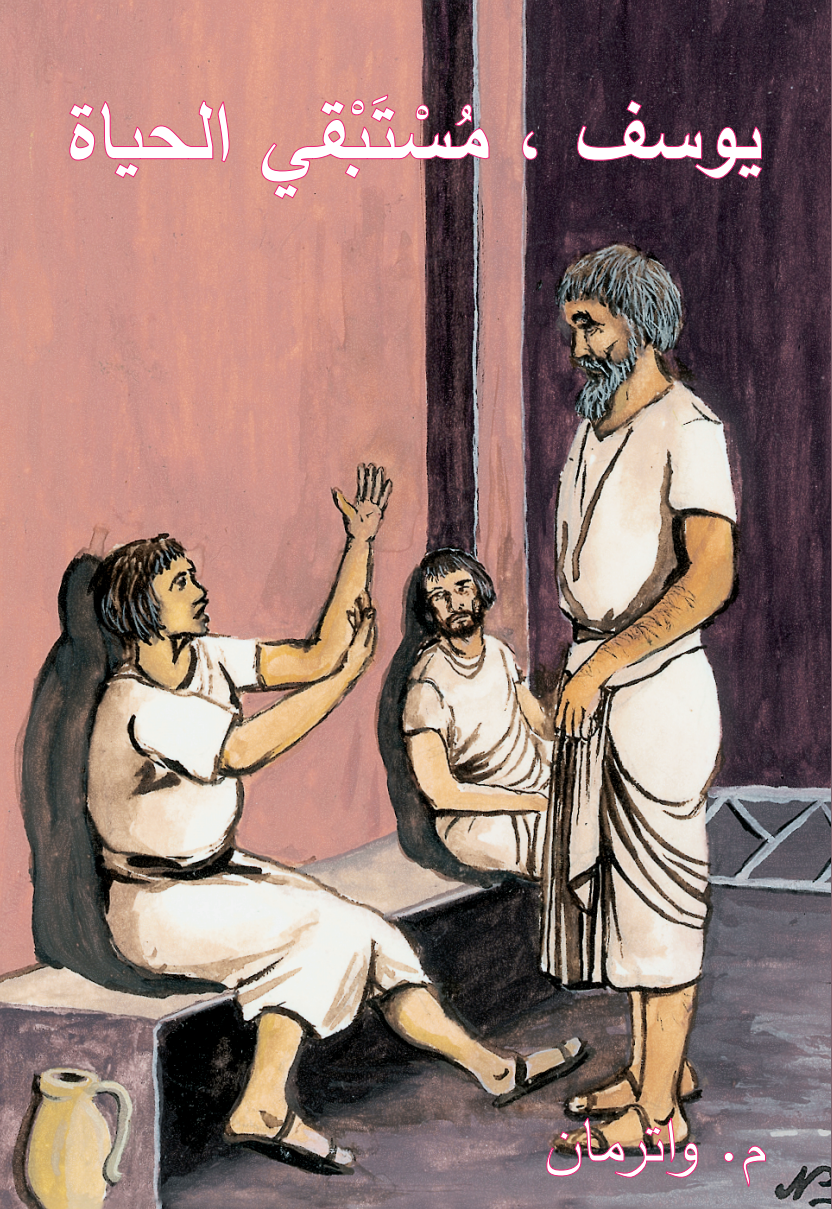

م. واترمان

Gereformeerde Bijbelstichting
P.O. Box 168
4140 AD Leerdam
The Netherlands - 2020
0031 345 61 01 55
www.gbs.nl

مؤسسة الكتاب المقدّس المُصْلَحَة

ليردام – هولندا – 2020

Joseph, Preserver of Life

This book was originally published
in the Dutch language as:
"Jozef, behouder van het leven"

ترجمه إلى العربية

القس د. سمير يوسف يعقو / الشيخ جورج الياس ميسي

يوسف ، مُسْتَبْقي الحياة

بقلم

م. واترمان

الفهرس

يوسف مستبقي الحياة (3)

1. طبيعة الأرض في إسرائيل (5)
2. يهوذا عند بئر يوسف (11)
3. يوسف في السجن (15)
4. كأس وسلّة (21)
5. يوسف يفسر الحلم (25)
6. سنوات الرخاء السبع (31)
7. يوسف يكشف عن حقيقة شخصه (35)
8. راعي (45)

يوسف ، مستبقي الحياة

يتناول هذا الكُتيِّب شخصية يوسف الذي دُعي اسمه في الكتاب المقدّس بحسب ما نرى في تكوين 45:41 "صَفْنَاتَ فَعْنيح" الذي يعني "مُعيلُ الأرض". ومن خلال يوسف استبقى الربّ حياة شعب إسرائيل، شعبه المختار، في وقت حدوث مجاعةٍ عظيمةٍ جداً. ومن جهات عدة هو يمثل أيضاً صورةً نمطيةً عن مستبقي الحياة الأعظم، الربّ يسوع المسيح.

أظهرتَ بأسكَ بين الأمم، وعرّفت بعجيب قدرتك،
أنت الله الذي فديت شعبك وحررته بقوة جبروتك.

صورة طبيعية لأرض إسرائيل

1. طبيعة الأرض في إسرائيل

ترى في الصورة جزءاً يسيراً من أرض إسرائيل، من وديان وجبال وصخور. وعلى مدِّ النظر ترى سفوح التلال وكأنها لوحة خضراء متدرّجة الألوان، هو لون العشب الأخضر بطراوته.

لنتخيل معاً أنَّ غلاماً كان يسير في هذه الطبيعة مُتَّجِهاً نحو أخوته الذين كانوا يرعون الغنم على سفوح التلال. كان هذا يوسف، أحد أبناء يعقوب. ابتدأ الأب يعقوب الذي كان يسكن في جنوب البلاد يشعر بالقلق إزاء أبنائه، فأرسل يوسفَ ليَطمئِنَّ على سلامةِ أخوته وسلامةِ القطيع حيث كانوا ينتشرون على جبل أفرايم من شكيم بعيداً عن يعقوب بحوالي 80 كم. وبفترة

ليست ببعيدة حدثت أمور مروِّعة في شكيم، فماذا لو أنَّ أمراً مكروهاً قد أصابهم؟

ونزل يوسف عند رغبة أبيه وأطاعه وسار في طريقه نحو أخوته. وعندما اقترب يوسف من شكيم وجد أنَّ أخوته قد انتقلوا إلى منطقة أبعد تسمّى دوثان.

وبعد أن سار نحو 20 كم إضافية قابل أخوته المنتشرين على سفوح التلال وهم يرعون غنم أبيهم. وكم من السعادة الغامرة التي شعر بها يوسف عندما التقى بأخوته، ولكنْ هل كان أخوته سعداء أيضاً برؤيته؟ ربما تتوقع أنت أمراً كهذا على نحو لا يقبل الشك، أليس كذلك؟

لكنَّ الكتاب المقدّس يخبرنا أنه عند رؤيتهم له وهو بَعْدُ على مسافةٍ منهم وقبلَ أن يصل إليهم، تآمروا عليه

ليقتلوه قائلين: انظروا، هُوَذا هذا صاحبُ الأحلامِ قادمٌ، فلنقتلْه ونرمي جثتَه في البئر.

فلماذا كانت لهم كلُّ هذه الكراهية له؟ وما هو الشرُّ الذي اقترفه بحقِّهم؟

لا شيء على الإطلاق، بل فقط لأنَّ يوسف لم يكن يوافقهم بالرأي عندما كانوا يفعلون ما لا يليق من أفعال خاطئة، وكان يوبّخُهم ويُخبر والدَه بذلك ناقلاً له تصرفاتِهم السيئة التي انتشرت في كلِّ المناطق حيث نقرأ في الكتاب المقدّس «وَأَتَى يُوسُفُ بِنَمِيمَتِهِمِ الرَّدِيئَةِ إِلى أَبِيهِمْ»، وقد صارت سمعةُ أولاد يعقوب على كلِّ لسان مما أحزن يوسف حتى إنَّ الناسَ جدّفوا على الله بسببهم. أضف إلى ذلك القميص البهي والملوّن الذي أعطاه إياه أبوه دون أخوته، ناهيك عن تلك الأحلام التي كان يحلمها قاصداً إياهم بها. كلُّ ذلك كان سبباً

كافياً لأن يكون استقبال أخوته له بهذا الشكل وتزداد كراهيتهم له على هذا النحو!

وماذا نقرأ عن الأعظم من يوسف أي الربّ يسوع المسيح؟ «إلى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ» (يوحنا 11:1). على هذا النحو كان يوسف صورةً نمطيَّةً لمستبقي الحياة الأعظم، الربّ يسوع المسيح.

حتى قبلَ وصول يوسف إلى مكان تواجد أخوته فإنهم كانوا قد تعاهدوا على قتله مُسبَقاً لكنَّ الربَّ كان ساهراً على سلامة يوسف ابنه، فقال رأوبين، الابن البكر: «لاَ تَسْفِكُوا دَمًا. اِطْرَحُوهُ فِي هذِهِ الْبِئْرِ الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَدًا» (تكوين 22:37). وكان قصد رأوبين أن يمنعَهم من قتله وأن يعيدَه إلى والده بأقرب فرصة ممكنة.

واستمع الأخوة لرأي أخيهم الأكبر، فما أن وصل إليهم يوسف حتى قبضوا عليه وخلعوا عنه قميصه الملوّن ورموه في بئر جافة من المياه دون أي شعور بالرحمة والرأفة به عندما استغاث بهم يوسف طالباً عدم إيذائه، بل تناولوا طعامهم وكأنَّ شيئاً لم يحدث! فيا له من سلوك شائن ومعيب!

ومن بعيد بانت لهم قافلةٌ من التجار الإسماعيليين تقترب من البئر وكانوا متجهين في طريقهم إلى مصر حاملين بضائعَهم من التوابل والأطياب والبلسم. وهنا اقترح يهوذا (وهو واحد من الأخوة) قائلاً ماذا لو بعنا يوسف لهؤلاء التجار ليأخذوه معهم إلى مصر لئلا يموت جوعاً وعطشاً في هذه البئر.

ولم يدركوا أنهم بفعلتهم هذه كانوا يحقِّقون خِطَّةَ الله الأزلية. فلا ينبغي أن يغيب عن بالنا أنه كان عليه أنْ

يذهب إلى مصر ليكون سبب استبقاء حياتهم في يوم من الأيام، لأنَّ يوسف سيصرّح بذلك بعد وفاة والده بقوله لهم: «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا» (تكوين 20:50).

حيث المياه تغور وتطمو،
غمرٌ ينادي غمراً بصوته.
كلُّ أمواجك وتياراتك يا ربُّ تزأرُ،
وعلى نفسي المضطربة تنسكبُ.

2. يهوذا عند بئر يوسف

وافق الأخوة مجتمعين على اقتراح يهوذا بأن يبيعوا يوسف وهنا نرى يهوذا يسحب أخاه من البئر. فهل يعني هذا أنه أنقذ يوسف؟

كلا أبداً، فقد سمع يوسفُ رنين النقود، لقد بيع إلى التجار بعشرين من الفضة وسمع يوسفُ رنينها حين دفعها التجارُ لأخوته وما كانت إلا مبلغاً زهيداً لقاء المبلغ الذي سيبيعونه به في مصر! هكذا بيع الربّ يسوع بثلاثين من الفضة، كثمن عبد متعارف عليه في ذلك الزمان.

وهكذا تابعت القافلة طريقَها إلى مصر وقد ألقى يوسف النظرة الأخيرة على أخوته وعيناه تغرورقان بالدموع ... فقد توسل منهم الرحمة في قلوبهم لكنَّهم صمُّوا آذانهم

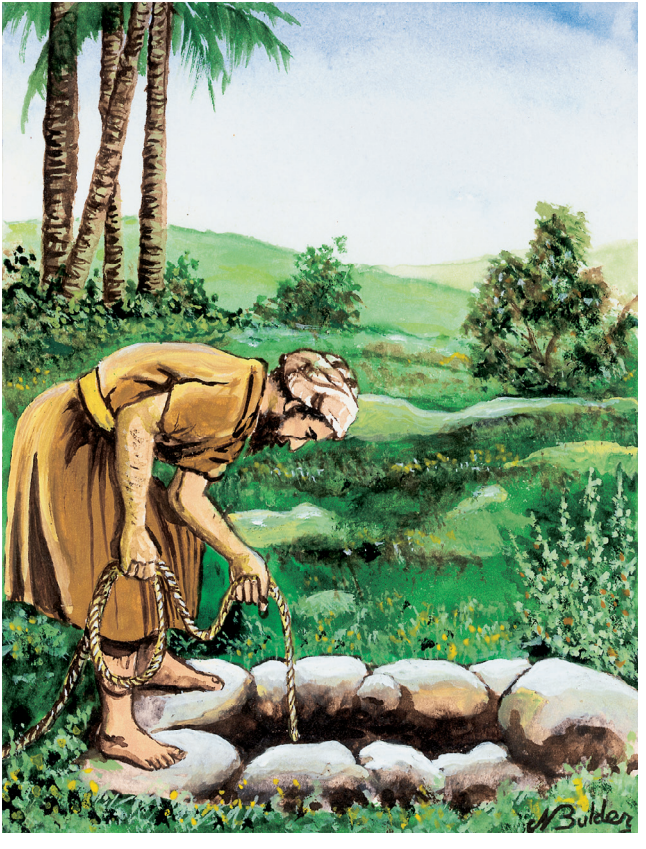

صورة يهوذا عند بئر يوسف

عنه، وهكذا وصل إلى مصر. وما كان يوسف وحيداً بل إنَّ الربَّ كان معه.

وأين رأوبين؟ لقد أخفى نفسه عن الأنظار على أمل أن يُخرِجَ يوسفَ من البئر خِلسةً فيما بعد. ولمّا جاء ونظر في البئر ولم يرَ أخاه يوسف هناك مزّق ثيابه حزناً عليه ثم رجع إلى أخوته وقال: «الْوَلَدُ لَيْسَ مَوْجُودًا، وَأَنَا إلى أَيْنَ أَذْهَبُ؟» (تكوين 30:37).

وبما أنَّ رأوبين هو الابن الأكبر كان والدهم يعقوب سيسأله عمّا حدث ليوسف. ماذا كانوا سيقولون لأبيهم يا ترى؟ وفجأة لمحوا القميص الملوّن موضوعاً هناك فخطرت على بالهم فكرة! وذلك بأن يذبحوا جَدياً صغيراً ويغمسوا قميصَ يوسف بدمه. وهكذا فعلوا. ثم أرسلوا القميص الملطخ بالدماء مع أحد الغلمان ليقول ليعقوب إنَّ هذا ما وجدوه ليتحقق منه إنْ كان قميص ابنه

يوسف أم لا. فتُرى ماذا أجاب يعقوب؟ « قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ، اُفْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاسًا» (تكوين 33:37). ولا شك أنَّ قلب يعقوب قد تقطَّع حزناً على ابنه، ومزق ثيابه وراح ينوح عليه أياماً كثيرة وأبى أنْ يتعزى بالرغم من محاولات أبنائه وابنته الوحيدة ليعزّوه.

حزناً وأسىً لا نهاية له أكابدُ،
باسطاً يديَّ أطلب الربّ فوحده يساعدُ.
لا راحة ولا عزاء لنفسي أجدُ،
بل سُحبٌ سوداءٌ قاتمةٌ فوقيَ تتلبّدُ.
إلهي أذكرُ وفي ذهنيَ أنشدُ،
كلَّ خيراته، لكن سلاماً لا أجدُ.
حزني وكربتي ما زلت أسكبُ،
روحي بهذا الضيق تَكادُ تبيدُ.

3. يوسف في السجن

أيوسف في السجن؟

وهل كان التجار قد باعوه هناك ليودَع في السجن؟

كلا أبداً، فقد باع التجار يوسف في مصر إلى فوطيفار قائد الشرطة الملكية. لكنْ كيف انتهى الأمر بأنْ يوضع يوسف في السجن؟ يوسف كان يعمل في بيت فوطيفار كعبد، هكذا بلغت به الإهانة والذلّ وهو غريب الأهل والدار. لكن ماذا نقرأ في الكتاب المقدّس: «وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ فَكَانَ رَجُلاً نَاجِحًا» (تكوين 2:39). فيا له من أمر عجيب بالنسبة ليوسف! فقد كان الربّ يعتني به أينما كان. وقد ذُهِل فوطيفار بمقدار ما لاحظ من أمانة يوسف وإخلاصه في عمله، كما لاحظ كيف أنَّ

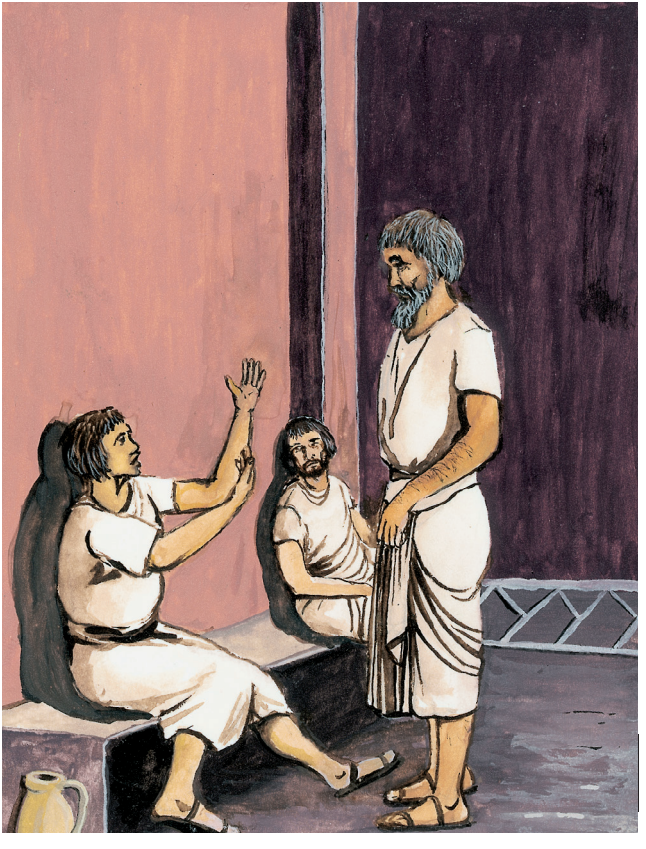

صورة تمثل يوسف في السجن

الله قد بارك يوسف وبارك بيته بسببه حتى إنَّ فوطيفار عهد إلى يوسف بكلِّ شاردة وواردة من شؤون بيته.
لكنْ تغيّرَ الأمرُ بعد ذلك، فقد كانت زوجة فوطيفار تستلطفُ يوسفَ وأخذت تتقرب إليه وتحاول استمالة عواطفه نحوها وتثير غرائزه وتراوده كي يخون سيده الذي ائتمنه على بيته، ويرتكب معها ما نهى الله عنه. أمّا يوسف فكان رافضاً لعَرْضِها لأنه كان يأبى أن يخون ما اؤتمن عليه. وأهم من ذلك كان يعلم أنَّ عملاً كهذا هو خطيئة عظيمة ولذلك قال لها: «كَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إلى الله؟» (تكوين 9:39).
وفي ذات يوم إذ كان يوسف يؤدّي عمله في المنزل أمسكت زوجة فوطيفار بثيابه راغبة في معاشرته وأنْ يلبّيَ غرائزها. فماذا عمل يوسف آنذاك؟

هرب من المنزل تاركاً رداءه هناك. فأخذتْ زوجةُ فوطيفار الرداءَ واحتفظتْ به لحين عودة زوجها إلى المنزل. وهنا قلبتْ زوجةُ فوطيفار الرواية وعكستها مدَّعيةً أنَّ يوسف قد تهجَّم عليها وأراد الإيقاع بها ولكنها صرخت بصوت عالٍ مما أجبر يوسف على أنْ يلوذ بالفرار بسرعة، وقدَّمَت لزوجها الدليل الذي هو رداء يوسف.

وصدّق فوطيفار زوجته، واعتقلَ يوسفَ وأودعَه في سجن الملك. وكما ترى في الصورة يوسف وهو يكلِّم أحد المسجونين معه. يا لها من تجربة مؤلمة ليوسف! لكن دعونا نعود إلى الكتاب المقدّس لنرى ماذا يقول: «وَلكِنَّ الربّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، وَبَسَطَ إِلَيْهِ لُطْفًا، وَجَعَلَ نِعْمَةً لَهُ فِي عَيْنَيْ رَئِيسِ بَيْتِ السِّجْنِ» (تكوين 21:39).

وكلُّ ذلك حدث لكي يختبرَ يوسفُ قول الربّ: «فَإِنِّي أُكْرِمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونَنِي» (1 صموئيل 30:2).

قد بيع يوسفُ عبداً رقيقاً،
والقيدُ في معصميه كان لصيقاً.
فتحمَّل الآلام وكان له الحزنُ المقيتُ رفيقاً،
حتى تحققت رؤياه تحقيقاً.

صورة كأس وسلَّة

4. كأس وسَلَّة

في بداية الأمر كانت يدا وقدما يوسف مكبَّلةً بالأغلال الحديدية. لكن الربّ لم يُهمِلْ أو يترك يوسف، وقد مرَّ معنا قولُ الكتاب المقدّس: «ولكنَّ الربّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، وَبَسَطَ إِلَيْهِ لُطْفًا، وَجَعَلَ نِعْمَةً لَهُ فِي عَيْنَيْ رَئِيسِ بَيْتِ السِّجْنِ» (تكوين 21:39). فبعد فترة وجيزة تمَّ نزعُ القيود من معصميه وقدميه وأوكلَه رئيسُ بيت السجن، الذي كان يعامله معاملة حسنة لطيفة، بالإشراف على باقي السجناء بحيث أنهم لا يستطيعون عمل أي شيء دون علمه. أجل، إنَّه شيء رائع وملفت للنظر حيث يقول الكتاب المقدّس «وَمَهْمَا صَنَعَ كَانَ الربّ يُنْجِحُهُ»(تكوين 23:39).

وهذا يعني أنَّ الربّ بارك يوسف في كلِّ شيء كان يعمله. وفي ذلك السجن قابَلَ يوسفُ خُدّاماً مُقرَّبين لفرعون ومنهم رئيس السقاة ورئيس الخبازين. فكان هذان الاثنان مسؤولين عن طعام وشراب فرعون وقد أشار الكتاب المقدّس إليهما برمز الكأس والسلَّة كما تلاحظون، فرئيس السقاة يعصر العنب في كأس فرعون ورئيس الخبازين يحمل سلّة الخبز على رأسه ليقدم الخبز للملك، وهكذا يؤدّي كلٌّ منهما عملَه على أكمل وجهٍ إذ لا يُسمَح بارتكاب أي خطأ من هذه الناحية. لكنْ على ما يبدو أنَّ هنالك خطأ ما قد حدث إذ نقرأ في الكتاب قوله: «وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ سَاقِيَ مَلِكِ مِصْرَ وَالْخَبَّازَ أَذْنَبَا إلى سَيِّدِهِمَا مَلِكِ مِصْرَ» (تكوين 1:40)، ولذا أودعا في السجن وهكذا كان أمر تواصلهما مع يوسف.

وفي صباح ذات يوم جاء يوسف إليهما فلاحظ على وجهيهما حزناً، ذلك أنَّ كلاً منهما قد حلم حلماً مزعجاً له، ولم يكن هنالك من يبوحا له بما حلما لكي يفسر لكلٍّ منهما حلمه.

ولكن يوسف بادرهما بالقول: «أَلَيْسَتْ للهِ التَّعَابِيرُ؟ قُصَّا عَلَيَّ» (تكوين 8:40). وروى كلٌّ منهما ليوسف حلمَه الذي رآه، فأعطى الربّ تفسيراً لكلٍّ منهما على لسان يوسف: إنَّ فرعون سيعيد رئيسَ السقاة إلى وظيفته وأمَّا رئيسُ الخبازين فسيواجه الموت، وهذا ما حصل! وقبل أن يغادرَ رئيسُ السقاة السجنَ طلب منه يوسف قائلاً: «إِذَا ذَكَرْتَنِي عِنْدَكَ حِينَمَا يَصِيرُ لَكَ خَيْرٌ، تَصْنَعُ إِلَيَّ إِحْسَانًا وَتَذْكُرُنِي لِفِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُنِي مِنْ هذَا الْبَيْتِ» (تكوين 14:40).

لكن ماذا نقرأ عن رئيس السقاة؟ «لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ» (تكوين 23:40).

وكم كان طول المدة التي قضاها يوسف في السجن بعد ذلك؟ كانت مدَّة سنتين طويلتين. ولذا كان على يوسف أن يتعلّم أنْ لا يعتمد على الناس بل على الربّ في كلِّ ما يرجو ويتمنى.

للرب انتظري يا نفسي عند اشتداد البؤسِ،
ففيه كلُّ رجاؤك يخلو من كلِّ لَبْسِ.

5. يوسف يفسّر الحلم

نرى في الصورة فرعون ملك مصر جالساً على عرشه. لقد أمضى ليلةً مرعبةً، فقد حلم حلمين سبَّبا له انزعاجاً كبيراً. فماذا رأى في الحلمين يا تُرى؟

في الحلمِ الأوَّلِ رأى فرعون سبعَ بقراتٍ سمان صاعداتٍ من نهر النيل وكانت ترعى العشب بمحاذاة النهر. ثم رأى فرعون بعد ذلك سبعَ بقراتٍ هزيلاتٍ جداً صاعداتٍ من نهر النيل أيضاً ووقفت على مقربةٍ من البقرات السبعِ السِّمان. وماذا حدث بعد ذلك؟ التهمت البقراتُ الهزيلاتُ البقراتِ السِّمان، ومع ذلك بقيت هزيلات وكأنَّهُنَّ لم يأكلنَ شيئاً!

واستيقظ فرعون ثم نام ثانية وحلم حلماً آخر. فماذا رأى هذه المرة يا ترى؟

يوسف يفسر الحلم لفرعون

رأى نفسه واقفاً بالقرب من حقلِ قمحٍ جميلٍ كثير السنابل، وإذا به يشاهد سبعَ سنابل هزيلةٍ ملفوحةٍ بالريح الشرقية. وماذا حصل؟ السنابلُ الهزيلةُ أكلت السنابلَ الممتلئةِ التي أمامها حتى لم يتبقَّ منها شيئاً.

واستيقظ فرعون وهو على يقينٍ بأنَّ في الحلمين رسالةً ما موجَّهَةً إليه، ولكنْ ما هو فحوى هذه الرسالة؟

لم يكن فرعون يدرك أنَّ الربَّ كان يكلّمُهُ، بالرغم من أنه كان عادة يكلّم الناس بأحلام ورؤى وظهورات في تلك الأيام، إلاّ أنَّ الربّ في تلك الليلة تكلّم مع فرعون مرتين! فارتعد فرعون واضطرب وعند مطلع الصبح دعا جميعَ سحرةِ مصرَ وحكمائها إلى قصره وقصَّ عليهم الحلمين اللذين رآهما وانتظر بفارغ الصبر سماع تفسيرهما من قبل حكماء مصر وسحرتها.

لكنَّ كلَّ هؤلاء عجزوا عن أن يُقَدِّموا له أي شيء. ونقرأ في الكتاب المقدّس بهذا الصدد أنَّ فرعون قصَّ عليهم

حُلْمَهُ، فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُعَبِّرُهُ لِفِرْعَوْنَ. وبلغ فرعون حدَّ الحيرة والارتباك، وهنا تقدّم رئيسُ السقاة قائلاً: «أَنَا أَتَذَكَّرُ الْيَوْمَ خَطَايَايَ» (تكوين 9:41). أيَّة خطايا هذه؟ إنه الخطأُ الذي ارتكبه رئيسُ السقاة بحقِّ فرعون والذي أدَّى به إلى السجن، وقصَّ على فرعون ما حدث له في السجن وكيف أنه ورئيس الخبازين قد حلما في السجن حلماً وتمكَّنَ شابٌ عبرانيٌ مسجونٌ معهما من تفسير حلميهما وكيف تحقق ذلك التفسير بدقة لكليهما. فاقترح رئيسُ السقاة على فرعون أن يستدعيَ ذلك الشاب الذي من الممكن أن يقدِّمَ تفسيراً صحيحاً لفرعون.

وعندئذ حلَّت الأعجوبة على يوسف إذ فُتحت له أبواب السجن وطُلِبَ منه التوجه فوراً لمقابلة فرعون. فحلق وتزين ولبس لباساً نظيفاً وتهيأ للمقابلة والوقوف بحضرة الملك. وماذا قال فرعون ليوسف؟

« وَأَنَا سَمِعْتُ عَنْكَ قَوْلاً، إِنَّكَ تَسْمَعُ أَحْلاَمًا لِتُعَبِّرَهَا» (تكوين 15:41). وبماذا أجاب يوسفُ فرعونَ؟ «لَيْسَ لِي. اللهُ يُجِيبُ بِسَلاَمَةِ فِرْعَوْنَ» (تكوين 16:41).

هكذا بدتْ مساعي يوسف الرشيدة لتحويل أنظار فرعون نحو الله وليس نحو الإنسان. وترون في الصورة يوسفَ واقفاً أمام فرعون، وفرعون يقصُّ عليه أحلامَه. والربّ قد منحَ يوسفَ قدرةً على تفسير الأحلام.

خيراً صنعتَ مع عبدِكَ يا ربُّ،

وبأمانةٍ وعدلٍ تُحقّقُ وعدَك لمن تُحِبُّ.

سنوات الازدهار والرخاء السبع

6. سنوات الرخاء والازدهار السبع.

لقد مُنِحَ يوسفُ امتياز تفسير الحلمين لفرعون بعد أن كشفَ الربّ له عن تفسيرهما الحقيقي. وتعبيرُ الحلمين كان واحداً كما نقرأ: «حُلْمُ فِرْعَوْنَ وَاحِدٌ. قَدْ أَخْبَرَ اللهُ فِرْعَوْنَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ» (تكوين 25:41)، فماذا كان الربّ على وشك أنْ يفعلَ؟ أو ماذا عَزَمَ الربّ على أنْ يفعلَ؟

تفضَّلْ بالاستماع أيها الملك، ستأتي على البلاد سبعُ سنواتٍ من الوفرة والرخاء يعقبها سبعُ سنواتٍ من الشحّ والقحط، فوفرة المرحلة الأولى من القمح والحبوب لم يسبقْ أن مرَّ على البلاد مثلها، ولكن بعد ذلك ستكون سبعُ سنين من القحط لا ينمو فيها القمحُ. ولن يتبقى

شيءٌ من تلك الوفرة التي كانت في السنوات السبع الأولى. وحلمك مرتين أيها الملك إنما يُشيرُ إلى أنَّ الله قد قرَّرَ بالمطلق فعل ذلك وأنه مسرعٌ ليصنعه. ثم قدّم يوسف النصيحة الصالحة إلى الملك لتجاوزِ الأزمةِ قائلاً: اختر أيها الملك رجلاً حكيماً رشيداً ليتولى إدارة الأزمة لك في السنوات القادمة.

وهنا يقول الكتاب: «فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُونِ جَمِيعِ عَبِيدِهِ» (تكوين 37:41). وهكذا أمال الربّ قلبَ فرعون ليتمِّمَ مقاصده. فعيَّن فرعون يوسف مدبّراً ووالياً على كلِّ أرض مصر. فيا له من تغيُّرٍ جذري في حياة يوسف! ففي الصباح كان سجيناً وها هو الآن في المساء والياً على أرض مصر برمَّتِها. ومَنَحَ فرعونُ يوسفَ اسماً آخر فدعاه «صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ»

(تكوين 45:41) ومعناه على الأرجح "مُستبقي الحياة" أو"كاشف الأسرار".

وكما فسّر يوسف الحُلمين هكذا حدث بالضبط. فسنوات الخير والرخاء السبع أتت بحُزَمِ الحنطة كما يقول الكتاب: «وَأَثْمَرَتِ الأَرْضُ فِي سَبْعِ سِنِي الشِّبَعِ بِحُزَمٍ» (تكوين 47:41)، كما نشاهد في صورة الحقول المليئة بالحبوب التي تحملها السنابل الطويلة المكتنزة. إنها في الواقع سنوات العطاء والوفرة حيث فَرَضَ يوسفُ تخزين الغلال في مخازن وأهراء إذ يقول الكتاب المقدّس «وَخَزَنَ يُوسُفُ قَمْحًا كَرَمْلِ الْبَحْرِ، كَثِيرًا جِدًّا حَتَّى تَرَكَ الْعَدَدَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَدَدٌ» (تكوين 49:41).

ثمَّ حلَّتْ السنوات العجاف تماماً كما سبق وأعلن يوسف في تفسيره لحلم فرعون «فَكَانَ جُوعٌ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ.

وَأَمَّا جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ فَكَانَ فِيهَا خُبْزٌ» (تكوين 54:41)، وماذا يقول الكتاب لاحقاً؟

يقول الكتاب: «وَجَاءَتْ كُلُّ الأَرْضِ إِلى مِصْرَ إِلى يُوسُفَ لِتَشْتَرِيَ قَمْحًا، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا فِي كُلِّ الأَرْضِ» (تكوين 57:41). ولذلك سنرى قريباً أنَّ أخوةَ يوسف سيأتون إلى مصر لابتياع القمح لأنَّ الله اختار يوسفَ لاستبقاء حياة أهله وعشيرته، ومن هذا القبيل نرى يوسف صورة نمطيَّةً لصفنات فعنيح أعظم وهو الربّ يسوع المسيح، مستبقي الحياة.

أطلقَ الملكُ يوسفَ وفكَّ قيوده،
ورفَّعَه والياً ليحكمَ بلادَه.
مُخضِعاً شيوخاً ورؤساءَ لأمر سلطتهِ،
فالكلُّ صار تحت رهن إشارتهِ.

7 – يوسف يكشف عن ذاته

وأصابت المجاعة أرضَ كنعان أيضاً كباقي البلدان وبات النقصُ ونفادُ الطعام قاب قوسين أو أدنى حتى في خيمة يعقوب، فيا له من امتحان قاسٍ ليعقوب وأسرتِه! فهل يكون الموتُ جوعاً مصيرَهم المحتومَ وهم في أرض الموعد؟ يا للغرابة!

كلا، إنّ هذا لن يكون، فالربّ هو من سيتولّى تدبير ذلك عِبْرَ ابنه يوسف، فماذا سمع يعقوب آنذاك؟

سمع يعقوب أنّ الحنطةَ وفيرةٌ في مصر وأنَّ لا مجاعة هناك. وكانت العرباتُ المحمّلةُ بالحبوب والحنطة تمرُّ على مرأى منه، ولذا وجب على أولاده الذهاب إلى مصر لشراء القمح، فتكلّم معهم بهذا الصدد لكنهم لم

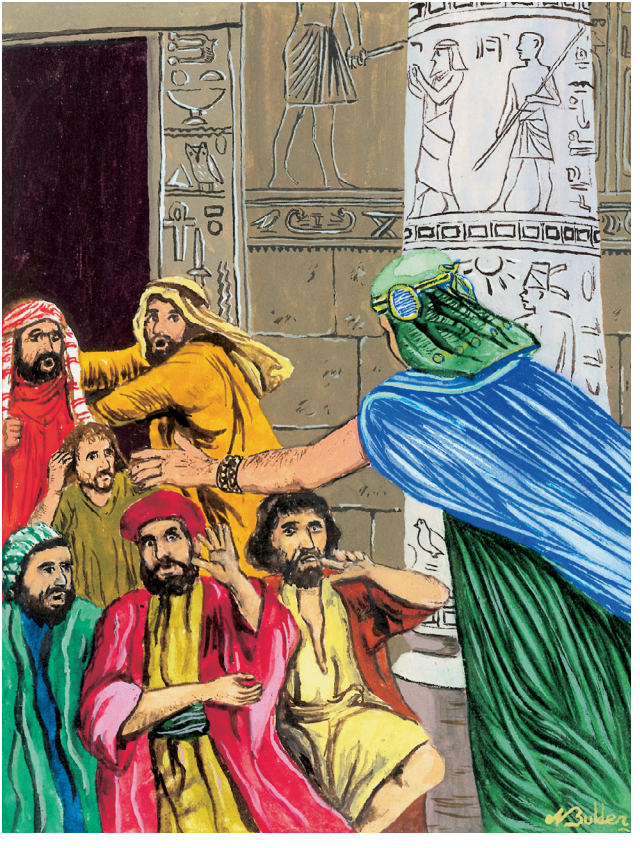

يوسف يكشف عن ذاته

يكونوا على عجلة من أمرهم فسألهم «لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ؟» (تكوين 1:42) يبدو لي أنكم مترّددون، «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ. انْزِلُوا إلى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لِنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ» (تكوين 2:42).

نعم، لم يكن هنالك من خيار أمامَهم فانطلقوا إلى مصر، عشرة منهم فقط لأنَّ والدهم استبقى بنيامين الصغير عنده خوفاً عليه وعلى حياته من سَفَرٍ كهذا ولأنه إن حصل له أيُّ مكروه يصبح يعقوب بلا ولد يذكّره بزوجته راحيل التي كان يُحبّها بعد فقد يوسف الذي كان منها.

ووصلَ أولاد يعقوب بسلام إلى أرض مصر ولم يكن الترحاب بهم كما توقعوه لأنه كان عليهم مقابلة الوالي

الذي بدا غاضباً جداً عليهم وهم لم يعرفوه عند لقائهم به لكن الوالي عرفهم وعلم في الحال أنّهم أخوته، فهل ما زالوا على حالهم من القسوة والغيرة والحسد؟

سيكتشف يوسف ذلك فيما بعد، فأخبرهم بأنهم مجرّد جواسيس وأعادهم من حيث أتوا محتجزاً لديه شمعون واشترط عليهم العودة برفقة أخيهم الأصغر.

ومن فضل الله أنَّ ضمائرهم بدأت تستيقظ وأخذوا يقولون بعضهم لبعض: «حَقًّا إِنَّنَا مُذْنِبُونَ إِلى أَخِينَا الَّذِي رَأَيْنَا ضِيقَةَ نَفْسِهِ لَمَّا اسْتَرْحَمَنَا وَلَمْ نَسْمَعْ. لِذلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هذِهِ الضِّيقَةُ» (تكوين 21:42). ولم يعلموا أنّ يوسف كان يسمع ويفهم كلَّ الحديث الذي دار بينهم، ولذلك انتحى عنهم جانباً وبكى.

وفي طريق عودتهم إلى موطنهم اكتشفوا أنَّ أموالهم موضوعة في أكياس القمح الذي اشتروه فذابت قلوبهم وارتعدوا (تكوين 28:42) ولما رأوا والدهم أخبروه بكلِّ ما حدث معهم بالتفصيل، فاستمع لهم بالتمام ثمَّ قال: «أَعْدَمْتُمُونِي الأَوْلاَدَ. يُوسُفُ مَفْقُودٌ، وَشِمْعُونُ مَفْقُودٌ، وَبَنْيَامِينُ تَأْخُذُونَهُ. صَارَ كُلُّ هذَا عَلَيَّ» (تكوين 36:42) وأردف قائلاً: «لاَ يَنْزِلُ ابْنِي مَعَكُمْ» (تكوين 38:42).

لكن عندما اشتدَّت وطأةُ المجاعة لزم عليهم أن يعودوا إلى مصر مع بنيامين طبعاً لكن بعد أن تعهَّد له يهوذا بأنه إذا حدث لبنيامين مكروه فستكون نفسه بدل نفسه. وعندما حان وقت الانطلاق باركهم يعقوب قائلاً: «اللهُ الْقَدِيرُ يُعْطِيكُمْ رَحْمَةً أَمَامَ الرَّجُلِ» (تكوين 14:43).

وأخذوا معهم بعض الهدايا لحاكم مصر الذي هو يوسف.

وكانت رحلةً ناجحةً، فاعتذروا عن أثمان القمح التي رأوها في أكياسهم وقدَّموا الهدايا التي جلبوها معهم، «وَسَجَدُوا لَهُ إِلَى الأَرْضِ» (تكوين 26:43).

هكذا نعود بالذاكرة كيف حقّق الله أحلام يوسف (تكوين 5:37-11).

هذه المرة دعاهم الوالي لتناول الطعام في منزله حيث انضم إليهم شمعون وهم ينظرون إلى بعضهم البعض بدهشة بالغة إذ أجلسهم الوالي بحسب أعمارهم. لكن ماذا بخصوص بنيامين؟ لقد تَلَقَّى بنيامين تكريماً وترحيباً أكثر بكثير من أخوته لكنهم لم يحسدوه، وقد لاحظ الوالي "يوسف" هذا الأمر على نحو واضح.

أمّا عودتهم هذه المرة إلى والدهم فقد كانت حافلةً بالفرح والحبور، لكنَّ مفاجأةً حصلت معهم فقلَبَت الأوضاع رأساً على عقب.

لقد لحق بهم الوكيل المسؤول عن تدبير بيت يوسف واتَّهمهم بأنهم لصوص وأنهم سرقوا كأس الوالي الفضية وقد وجدوها في كيس بنيامين عند تفتيشه. فعادوا محبطين وخائفين من يوسف وعرضوا عليه أن يكونوا عبيداً له. لكنّ الوالي رفض سماع هذا الكلام وسمح لهم بالعودة إلى ديارهم مع إبقاء بنيامين كعبدٍ عنده.

وهنا تدخل يهوذا وعرض أن يكون بديلاً لأخيه الأصغر بنيامين موضحاً كل شيء بالقول: «لأَنَّ عَبْدَكَ ضَمِنَ الْغُلاَمَ لأَبِي... » (تكوين 32:44).

وعندما سمع الوالي هذا الكلام لم يتمالك نفسه إذ رأى أخوته يقرّون بذنبهم، وقد امتلأ قلبهم بالندم.

ثم أمر الجميع أن يغادروا القاعة من أجل أن ينفرد بأخوته في الغرفة الذين سرعان ما لاحظوا أنه يبكي ويقول: «أَنَا يُوسُفُ. أَحَيٌّ أَبِي بَعْدُ؟» (تكوين 3:45). ونحن نرى في الصورة كيف كشف يوسفُ عن شخصيته لأخوته كما نلاحظ الخوفَ على وجوه أخوته وعدمَ قدرتهم على النطق ولو بكلمة. فماذا سيحدث لهم الآن؟ أهذا هو يوسف الذي أساؤوا معاملته؟ وهل سينتقم منهم الآن بعد أن صار حاكماً على مصر برمَّتِها؟

من محاسن الأمور أنَّ يوسف ليس في وارد معاقبتهم بل دعنا نستمع إلى ما قاله لهم: «لاَ تَتَأَسَّفُوا وَلاَ تَغْتَاظُوا لأَنَّكُمْ بِعْتُمُونِي إِلى هُنَا، لأَنَّهُ لاسْتِبْقَاءِ حَيَاةٍ أَرْسَلَنِيَ الله قُدَّامَكُمْ» (تكوين 5:45). ثم عَلِموا أنَّ

الجوعَ الذي مضت عليه سنتان سيستمر خمس سنوات أخرى. ثم أردف يوسفُ قائلاً: «فَقَدْ أَرْسَلَنِي الله قُدَّامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً» (تكوين 7:45).

وكان عليهم الآن أن يعودوا سريعاً إلى ديارهم ليحضروا والدَهم وزوجاتِهم وأولادَهم ومواشيَهم إلى مصر، إلى أرض جاسان حيث يكونون قريبين من يوسف. وعادوا إلى ديارهم بعد أن تحادثوا وتكلّموا مع يوسف بعضاً من الوقت.

وكان يعقوب الذي مكث في الديار منتظراً رجوعَهم ومراقباً عودتَهم التي تمت بنجاح إذ الجميع لديه الآن. وأدهشه ما قالوه له: «يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ، وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ» (تكوين 26:45).

لم يصدِّقْ يعقوبُ ذلك الكلام للوهلة الأولى، لكن عندما شاهد العربات التي أرسلها يوسف لنقلهم إلى مصر صدَّقَ وقال: «كَفَى! يُوسُفُ ابْنِي حَيٌّ بَعْدُ. أَذْهَبُ وَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ» (تكوين 28:45).

بقيودٍ من الحزن وبالغ الأسى،

صرختُ للإله طالباً منه النجاة.

بمحبةٍ عجيبةٍ سمع تضرعي وإليّ أصغى،

وأطلقَ نفسي حرةً مانحاً إياها المواساة.

8. الراعي

قبل أن ينزل يعقوب إلى مصر قرّر إقامة مذبحٍ عند الحدود الفاصلة بين كنعان ومصر حيث قدّم ذبيحة شكرٍ للرب إله أبيه إسحق راغباً بالاعتراف بأفضاله ومُعَبّراً عن إيمانه الراسخ بوعود الله وامتنانه من أجل كلِّ المراحم العظيمة وطالباً إرشاده في كلِّ توجهاته وتنقلاته. فماذا كان ردُّ الله عليه؟ لقد ظهر الله له في حلمٍ قائلاً: «أَنَا الله، إِلهُ أَبِيكَ. لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُولِ إلى مِصْرَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً هُنَاكَ» (تكوين 3:46). وهكذا استعد يعقوب للرحيل إلى مصر وأرسل ابنه يهوذا أمامه ليستطلع موقع أرض جاسان حيث سيسكن ويستقر.

الراعي

وعندما علم يوسف باقتراب وصولهم، جهّز عربته وسارع لاستقبال أبيه. ويا له من لقاء حميم لكليهما! إذ قال يعقوب ليوسف بأعلى صوته: «أَمُوتُ الآنَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ وَجْهَكَ أَنَّكَ حَيٌّ بَعْدُ» (تكوين 46:30).

ودخل يوسف إلى فرعون مصطحباً معه خمسةً من أخوته، ولما سألهم فرعون عن مهنتهم أجابوه أنهم رعاة مواشي، والصورة تبين لكم ذلك. وطلبوا منه بوقار أن يُسمحَ لهم بالسكن في أرض جاسان فسمح لهم فرعون بذلك، وهكذا حفظ الله شعبَه من الاختلاط بالمصريين الوثنيين.

ثم قدّم يوسف أباه إلى فرعون فبارك يعقوب فرعون مقدِّماً له الشكر من أجل معروفه وطالباً له أجمل أمنيات البركة الإلهية، وبهذا الشكل تسنى ليوسف أن

يقدِّم الرعاية وأن يعيلَ أباه وأخوته وكلَّ بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد.

ثم حان موعد وفاة يعقوب بعد أن منَّ الله عليه بالعيش في مصر سبع عشرة سنة، وقد أخذ من يوسف وعداً بأن يُدفَنَ في قبورِ آبائه وليس في مصر.

ولما سمع يوسفُ أنَّ أباه على فراش الموت يحتضرُ، ذهب إليه بصحبة ابنيه منسّى وأفرايم. فبارك يعقوب كليهما، ونال أفرايم الأصغر بركة الابن البكر وقد اعتبر يعقوب أولادَ يوسف كأولاده.

ثمَّ دعا يعقوبُ باقي أبنائه وهم الأسباط عند سريره وأعطاهم بركة الأبِ لكلِّ واحد على حدة، فأعطى ليهوذا بركة الابن الأكبر رغم أنَّ رأوبين في الواقع هو البكر. ولمّا حان موعدُ بركة يوسف نسمع يعقوب يقول: «فَمَرَّرَتْهُ وَرَمَتْهُ وَاضْطَهَدَتْهُ أَرْبَابُ السِّهَامِ. وَلكِنْ ثَبَتَتْ

بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ، وَتَشَدَّدَتْ سَوَاعِدُ يَدَيْهِ. مِنْ يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ، مِنْ هُنَاكَ، مِنَ الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ » (تكوين 49:23-24).

وحقًّاً كان كذلك، فبرغم السهام الكثيرة نال يوسف المعونة الإلهية في كلِّ الظروف التي واجهها وأنقذه الله منها! وها هو الآن في منصبٍ عالٍ كراعٍ من الله وحاكمٍ يُعيلُ شعبَه وهو حجرُ زاويةٍ وصخرةٌ لإسرائيل ينعموا من خلالها بالأمان والسلامة. ولما مات يعقوب تولّى يوسف مراسيم دفنه في كنعان في مغارة المكفيلة حيث يرقد آباؤه هناك أيضاً.

وبعد موت يعقوب تقدّم أخوة يوسف إليه ثانية طالبين الصفحَ عن كلِّ الشرور التي ألحقوها به قائلين: «آهِ! اصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ إِخْوَتِكَ وَخَطِيَّتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ صَنَعُوا بِكَ شَرًّا» (تكوين 50:17). فماذا كانت ردَّةُ فعلِ يوسف؟

لقد سامحهم من كلِّ قلبه وكلّمهم بمنتهى اللطف قائلاً: «لاَ تَخَافُوا. لأَنَّهُ هَلْ أَنَا مَكَانَ اللهِ؟» (تكوين 19:50) وهل يمكن أن أؤذيكم إذا كان الله يريد لكم الخير بواسطتي؟

وعاش يوسف سنين طويلة بعد وفاة أبيه يعقوب معتنياً بأسرته كلّ ذلك الوقت ولم يسمح بأن يعوزهم شيء. ولما مات يوسف كان قد بلغ من العمر 110 سنوات. وكان قبل وفاته قد استدعى أخوته وقال لهم: «أَنَا أَمُوتُ، وَلكِنَّ اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ وَيُصْعِدُكُمْ مِنْ هذِهِ الأَرْضِ إِلى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ» (تكوين 24:50). وبالمقابل وعده أخوته بقَسَمٍ بأنهم سيأخذون رفاته إلى أرض كنعان عندما يعيدهم الله إليها، إلى أرض الموعد. ثمَّ مات يوسف ورقدت نفسه

لتدخل بسلام إلى كنعان السماوية حيث لا أحد من أرباب السهام يمكن أن يعكِّر صفو حياته.

لقد سمح الله بأن يمر يوسف في صعابٍ ومتاعبَ وآلامٍ واضطهاداتٍ لكنه لم يمنع عنه الحياة والعناية والأمان أيضاً، وهنا نراه رمزاً لصفناتِ فعنيحٍ أعظم منه، ربنا يسوع المسيح الذي مرَّ بالضيقات من المذود إلى آلام موت الصليب.

ونحن نطلب أن يمنحنا الربّ مثل خشية الله التي كانت ليوسف الابن الصالح ويمنحنا المسيرةَ الورعةَ التقيةَ التي كانت له في حياته وإيماناً لا يتزعزع بجود الربّ الذي هو صخر الدهور الذي لا يخزى كلُّ منتظروه ولا يسمح بأن تسقطَ كلماتُه على الأرض.

ثم إن كان لا بد من أن نَعْبُرَ في طرق وعرة وضيقات في الزمان الحاضر فإنَّ علينا اختبار العونِ الإلهي في

كلِّ حاجةٍ لدينا وفي وقتٍ هو يختاره لأن منتظري الربّ لا يخزون!

طوبى للرجل الذي إله يعقوب مُعينه،
ومُبارك الذي يلقي على الربّ رجاءه.

يوسف ، مُسْتَبْقي الحياة

م. واترمان

يتناول هذا الكُتيِّب شخصية يوسف الذي دُعي اسمه في الكتاب المقدّس بحسب ما نرى في تكوين 45:41 "صَفْنَاتَ فَعْنيح" الذي يعني "مُعيلُ الأرض". ومن خلال يوسف استبقى الربّ حياة شعب إسرائيل، شعبه المختار، في وقت حدوث مجاعةٍ عظيمةٍ جداً. ومن جهات عدة هو يمثل أيضاً صورةً نمطيةً عن مستبقي الحياة الأعظم، الربّ يسوع المسيح.

GEREFORMEERDE BIJBELSTICHTING - LEERDAM
THE NETHERLANDS